

القول القرآني لدى المفكر يوسف الصديق – مفهومًا وتطبيقًا -  
Quranic saying in Youssef seddik's interpretation –  
definition and practice-

حنان برقرق

جامعة عبد الحميد مهري – قسنطينة 2- منتمية لمخبر فلسفة العلوم  
الإنسانية،

hanane.beregrag@univ-constantine2.dz

أ.د فتيحة فاطمي

جامعة عبد الحميد مهري – قسنطينة 2- منتمية لمخبر فلسفة العلوم  
الإنسانية،

fatiha.fatmi@univ-constantine2.dz

تاريخ القبول: 04/04/2024

تاريخ الاستلام: 13/05/2023

ملخص:

يُناقش المقال الذي بين أيدينا قضية جوهرية، طرحها المفكر "يوسف الصديق" في ثنايا مشروعه حول إعادة قراءة القرآن؛ ألا وهو القول القرآني، وقد وقع اختيارنا على هذا المفهوم من بين عديد المفاهيم والأفكار؛ لكونه يُشكل مفتاح القراءة لديه فإذا كانت عملية قراءة النصوص وتأويلها لا تتم على مستوى واحد، بل تختلف باختلاف المفكرين، فما المقصود بالقول القرآني لدى المفكر يوسف الصديق؟ وما هي طبيعة القراءة التي تفرعت عنه؟ وقد انتهى البحث إلى عدة نتائج يمكن أن نوجزها في أن قراءة المفكر "يوسف الصديق" قراءة تنتمي إلى محاولات تصحيح مسار الفهم حول السور القرآنية، انطلاقًا من أصغر بنية وهي الآيات القرآنية، وإعادة بعث سؤال النظر الفلسفي فيها

على اعتبار أن الفلسفة لم تكن يوما عدوة القرآن، بل إنه يمكننا الاستفادة من المناهج الفلسفية في تأسيس مفهوم حول النص القرآني.  
الكلمات المفتاحية: القول القرآني.. يوسف الصديق.. القراءة.. التأويل.. الإسلام.

**Summary :**

This article aims to discuss a basic concept in Youssef Seddik's hermeneutic work which is Quranic Saying, we have chosen this concept from among many concepts and ideas, because this concept consider as a key to his hermeneutics reading.

So, if the process of reading and interpreting texts doesn't take place on one level, but it differ according to different thinkers. So, what do we mean by the Quranic saying ? and what is the nature of Youssef Seddik's reading ?

The article is concluded with several results, and we summarized as follows: Youssef Seddik's reading belongs to the attempts to correct the way of understanding Quran from the smallest structure, and re-examine the question of philosophical consideration on the grounds that philosophy has never been the enemy of Quran, rather we can benefit from philosophical approaches to establish an understanding of Quranic text.

**Keywords:** Quranic saying; youssef seddik; reading; interpretation; Islam.

حنان برقرق ; فتيحة فاطمي

hanane.beregrag@univ-constantine2.dz, fatiha.fatmi@univ-constantine2.dz

## مُقدِّمة:

تندرج مساهمة المفكر التونسي "يوسف الصديق" (1943-) حول قراءته وتأويله للقرآن ضمن الجهود الرامية لإعادة فهم أهم مكوّن من مكونات الثقافة الإسلامية ألا وهو النص القرآني، وقد مكّن عمله هذا من بعث سجال قديم، فلم يكن البحث والتفكير العقلي في القرآن دُرْجة معاصرة، بل تعود إلى مساعي الفرق الكلامية الأولى ورُوادها أي خلال القرن الثاني الهجري.

ولذلك تُمثّل مؤلفاته محاولة لإعادة رسم معان جديدة، وبناء دلالات حدائثة تستوعب التغيرات العلمية والفكرية والثقافية الطارئة، وتعمل على تجديد مدونات التفسير التي ما فتئت تكرر ذاتها بحسبه، انطلاقاً من مفهوم مركزي ارتآه هو واعتبره المفتاح لإعادة قراءة القرآن وهو القول القرآني.

والإشكالية التي يتناولها موضوع المقال: ما المقصود بالقول القرآني لدى المفكر يوسف الصديق؟ وما طبيعة القراءة التي تفرعت عنه؟ وكيف نُقيّم تطبيقاته؟

وقد اعتمدنا على منهجية تقوم على مرحلتين؛ في البداية وقفنا على سيرة أكاديمية مختصرة للمفكر "يوسف الصديق" وأهم أعماله، وفي مرحلة ثانية اتجهنا لمناقشة مقصوده من القول القرآني وحددنا تبعاً لذلك طبيعة القراءة التي نتجت عنه، وفق منهج تحليلي.

أمّا الأهداف التي يروم المقال بلوغها فيمكن إيجازها فيما يلي: التعريف بمشروع القراءة لدى المفكر "يوسف الصديق"، شرح أهم مفهوم لديه وهو مفهوم القول القرآني، استنباط طبيعة القراءة التأويلية التي قدّمها. أولاً. يوسف الصديق مفكراً:

قبل الحديث عن مفهوم القول القرآني لدى المفكر "يوسف الصديق" علينا التذكير بمختصر سيرته الذاتية وأعماله الأكاديمية، حتى يكوّن القارئ فكرة عن مشروعه.

## 1. السيرة الذاتية:

ينتمي المفكر "يوسف الصديق" Youssef Seddik إلى جيل المفكرين المعاصرين الذين قدّموا مشروعًا يسعى لقراءة حدائيق القرآن تستند إلى مناهج علمية رصينة. كان مولده "في توزر من بلاد الجريد التونسية سنة 1943م، وهو فيلسوف وكاتب ومفكر متخصص في أنثروبولوجيا الأديان، درس ودرّس في جامعة السربون بباريس"<sup>1</sup>، وقد ذكر وفي سياق تعريفه بنفسه أنه نشأ ضمن أسرة مسلمة حيث "حفظ القرآن وعمره إحدى عشرة عامًا، كما تأثر بوالده الذي كان يُفسّر له القرآن بطريقة مناسبة لطفل في مثل سنه، وفي عام 1982 سافر إلى فرنسا واستقر بباريس وكوّن أسرته هناك، وقد كانت له معرفة سابقة بهذه البلاد، حيث درس بها مدة ثمان سنوات ومكّنه سفره هذا من التعرّف على الديمقراطية على حقيقتها كما ألّف كتبه هناك وبسببها اتهم بالإلحاد والزندقة"<sup>2</sup> غير أن مفكرنا يرفض اتهامه بالزندقة فهي مذهب وهو لا ينتمي إليه، ويؤكد أنه مسلم، وأن الله موجود، كما يرفض وصمه بالإلحاد، وأن أغلب ما قيل عنه ناجم عن سوء فهم لا غير.

ليعود إلى تونس مع بداية الثورة التونسية التي تُعرف بثورة الحرية والكرامة يوم 14 جانفي/ كانون الثاني 2011، والتي أشعلت ثورات الربيع العربي، ويستمر في الترويج لأرائه وأفكاره عبر عديد البرامج التلفزيونية، والحصص الإذاعية.

## 2. الأعمال أكاديمية:

تختلف الأعمال الأكاديمية للمفكر "يوسف الصديق" بين كتب مؤلفة، وترجمات، ومقالات، وحصص تلفزيونية، وسنعرض باختصار أهمها:

### 1.2 الكتب المترجمة:

لما كان المفكر "يوسف الصديق" في بدايات حياته قد مارس مهنة التعليم؛ فكان أستاذًا للغة الفرنسية، مكّنه هذا من أن يترجم عدة كتب نذكر

منها: كتاب "معجم تفسير الأحلام لابن سيرين" عام 1995، وترجمته لمختارات من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم عام 1997، وكذا ترجمته لبعض الحكم والمقولات جمعها في كتاب سمّاه "أقوال الإمام علي" عام 2000. بالإضافة إلى ترجماته إلى اللغة الفرنسية، فقد ترجم مفكرنا من اللغة اليونانية إلى العربية قصيدة "بارمنيدس" عام 1994، وكتاب الجمهورية لأفلاطون.

## 2.2 الكتب المؤلفة:

ألّف المفكر "يوسف الصديق" ما يربو عن خمس وعشرين كتابا، وبدأت رحلته في الكتابة والتأليف منذ عام 1975 حيث نشر كتابه "المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة"، ونشر كتاب "القرآن ترجمة أخرى، قراءة أخرى" عام 2002، إذ تناول فيه ترجمة وتأويلا جديدا للصور القرآنية، مرتبة حسب مواضع تبناها، وكان كتابه هذا مدخلا ومقدّمة لكتابه "هل قرأنا القرآن أم على قلوب أفعالها" بنسخته الفرنسية عام 2004، والعربية المترجمة عام 2013. وفي عام 2004 أصدر مفكرنا كُتّيبا باللغة الفرنسية بعنوان "على آثار العرب والمسلمين"، تناول فيه أهم الأحداث التاريخية منذ تأسيس مكة إلى عصرنا هذا، إضافة إلى تضمينه عدّة مفاهيم كمفهوم العالم العربي الإسلامي، ومفهوم المصحف.

وله كتاب آخر عنوانه "من هم الهمج؟" عام 2006، وكتاب "عائد المساء" عام 2014، وكتاب "الأخر والآخرين في القرآن" عام 2015 وغيرها.

أما الحصص التلفزية فقد أنتج مفكرنا سلسلة يتناول فيها سيرة حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بالاشتراك مع chema Sarmiento، عام 2001 وتتكوّن هذه السلسلة من خمس حلقات، حول مراحل نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم، القرآن، والإسلام، والسنة والحديث، ونزول الوحي\*، كما كان ضيفا عبر عدة برامج وحصص.

ثانيا: مفهوم القول القرآني:

لما كانت مهمة الفلسفة تقوم على فاعلية خلق المفاهيم وإبداعها\*، فقد تمحور مجهود المفكر "يوسف الصديق" في قراءته للقرآن على آلية التأثيل للكلمات القرآنية والعودة بها إلى الاشتقاق اليوناني من جهة، ومن جهة أخرى اهتدى إلى مفهوم أطلق عليه "القول القرآني" والذي سيكون مفتاح القراءة لديه.

### 1. القول القرآني :

إن البحث الإيتيمولوجي\*\* الذي طبّقه المفكر "يوسف الصديق" على النص القرآني قاده نحو إبداع مفهوم جديد هو القول القرآني، وانطلاقاً من هذا المفهوم أسس لقراءته.

في مستهل قراءته التأويلية ميّز المفكر "يوسف الصديق" بين نوعين من القول\*؛ قول قصد به معنى "إرادة الله وتدييره في الكون، والقول القرآني الذي كان بمثابة دعوة للتدبر والتفكير"<sup>3</sup>، والملاحظ أن القول بمعناه الثاني أي التدبر هو مناط الاشتغال عنده وعتبة التأسيس لديه، حيث أن النوع الأول من القول متعلق حصراً بالخالق (الله)، أما القول الآخر فموجّه للمخلوق (الإنسان) إذ أنه قول ورد "على لسان محمد عليه الصلاة والسلام، ليحل القول في محله الأرفع والأبلغ لا في الرؤية الحسية، ولا في المشاهدة المجازية وإنما في موقع النظر والتفكير، ومُحرراً للإنسان من كل وثنيات الرؤية بما ذلك وثنية القول في حد ذاتها"<sup>4</sup>، لم يكن هذا التمييز المقترح من قبيل التطويل أو التهويل أو الحشو الفكري، بل إنه يُمثل محطة رئيسية ومرحلة فارقة فاصلة أحدثت قطيعة بين ما عُرف من مظاهر النبوة السابقة (سيدنا نوح، وناقة صالح، ومعجزات عيسى عليه السلام...) فكان كل نبي إلا وأيده الله بأية حسية، إلا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كانت معجزته القول القرآني، وكان بمثابة آخر آية لتحرير البشر من الوثنيات ككل بعيداً عن المعجزات الحسية، وتوجيههم نحو النظر العقلي.

والمتمعن في سياق هذه الفكرة يلمح وجود تقارب معرفي بين ما طرحه المفكر "يوسف الصديق" وما أورده المفكر "محمد عمارة" (1931-2020) في كتابه "في فقه الحضارة الإسلامية"؛ حيث قدّم فيه خريطة تصحيحية للمجال العام لحياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بداية من تأكيده على أنه "لم تعد الرسائل قائمة في إعجازها على الآيات المادية، التي تُدهش العقل، فتشله عن التفكير، وإنما أصبحت المعجزة القرآنية معجزة عقلية، تستنفر العقل وتحثه على التعقل والتدبر والتفكير والتذكر"<sup>5</sup> وهكذا انتقل معنى المعجز والآيات المعجزة من المستوى المادي الحسي، نحو مستوى عقلي وفكري أعلى، يتناسب مع مرحلة وعي جديدة وُجد فيها الإنسان.

لما كانت آفاق "القول القرآني" لدى المفكر "يوسف الصديق" واسعة تشمل كل معاني التدبر، التفكير؛ فلا هي محددة باعتبار، ولا مسيجة بإتباع، إنما ديدنها العقل في مداه، والفكر في رحابته واتساعه، فقد نتج عنه -أي القول القرآني- وتفرع تمييزاً آخر، غير أن هذه المرة هو تمييز بين ثلاثة مفاهيم هي "الوحي" و"المصحف" و"الكتاب"، وكل ذلك لشرعنة قراءته.

### 1.1 الوحي:

يعتقد المفكر "يوسف الصديق" أن فكرة الوحي لم تنل القسط الوافي من الدراسة والبحث، وذلك لأن المفسرين تناولوها من ناحية سردية ووصفية بحتة غير أن للوحي قيمة "كبرى في قيادة الإنسان، وأن الكلام فيه ليس هيناً بل إنه يُحدث بلبلة، وأحدث فعلاً بلبلة كبيرة منذ بداية الإسلام ومنذ نزول أولى الآيات على محمد، البلبلة الأولى تلك الأسئلة التي تداولتها ألسن قريش وتخص شخص الرسول: هل هو شاعر؟ هل هو كاهن؟ هل تُراه ساحر؟ لقد أغلقت أمية محمد كما فهمها قومه باب النقاش في مسألة الوحي"<sup>6</sup>، فبدلاً من أن يناقش المفسرون لاحقاً فكرة الوحي ويبحثون عن خصوصياتها، وظروف نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم، مقارنة مع ما كان سابقاً، اتجهوا للبحث عن

فكرة أميته، وتساءلوا كيف لمن كان أميًا أن يُنزل عليه الوحي لو لم تكن هناك معجزة؟ ولهذا جعلوا من الوحي معجزة مادية حسية كغيرها من المعجزات السابقة، وعلى هذا الأساس سيطرت فكرة الأمية على فكرة الوحي، ولم ينتهوا لضرورة التفريق بين الوحي في العصور السابقة وما ترتب عنه من معجزات ووحى النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

إن الوحي لدى مفكرنا وحي لا يُمثل مطلقًا ما يوحيه الله إلى الأنبياء والرسل فقط، ولا يعني "إنزال القرآن: أي أنه حلّ بمكان مادي مسطح أو فارغ، فالمسألة ليست مسألة مادية ومن يعتقد ذلك ففهمه ساذج. إنّ الوحي هو دخول الخالق والمدبر في مسائل الكون وفي مسائل الأرض"<sup>7</sup>، ويقودنا هذا المعنى المقترح حول الوحي لاستحضار فكرة الحلولية\* التي نادى بها الفلاسفة القدامى من أمثال "الرواقيين" stoïcisme و"باروخ سبينوزا" Baruch Spinoza (1632-1677) فالله حسب هذا الطرح ليس مفارقًا للعالم بل إنه موجود وحالّ فيه، وقد كانت هذه الفكرة محل جدل بين فلاسفة الإسلام؛ فمنهم من آمن بها وتبناها كمُعي الدين ابن عربي (560هـ/1165م-638هـ/1240م) وما ذكره في كتابيه "فصوص الحکم"، و"الفتوحات المكية"، ومنهم من عارضها واعتبرها مقولة مؤداها الكفر ومبعثها الإلحاد، ويأتي على رأسهم كل من "تقي الدين ابن تيمية" (661هـ/1263م، 728هـ/1328م) -ورده على الجهمية في رسالته: حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود- قديما و"عبد الوهاب المسيري" (1938-2008) -وكتابه الحلولية ووحدة الوجود باعتبارها فكرة نقيضة للتوحيد- حديثا ولكل منهم مبرره في ذلك.

ومن جهة ثانية سعى المفكر "يوسف الصديق" من خلال تبنيه لمعاني الوحي التي استحدثها تبرير فكرة أن الله يُوحى لجميع المخلوقات وليس فقط الأنبياء؛ ولكن الفرق بين الوحي المُوحى إلى الرسل وباقي البشر هو أن "وحي البشر مثل شكسبير، والمتنبي، لم تصدر عنه ديانة أو دين أو إتباع مناسك أو



تعبّد، فلا يجوز أن نتعبّد بالمتنبي مثلاً، غير أن طبيعة القول وطبيعة تماسكه هي طبيعة وحي، وللوحي علاقة بالنبوة في تواصلها واستمرارها<sup>8</sup> وما يفهم من هذا التقسيم أن الوحي المُوحي إلى الأنبياء متميز عن وحي جميع البشر، فوحي جميع البشر غير مستمر، ولا تنتج عنه ديانة، في حين وحي الأنبياء يُثمر ديانة وهو وحي متواصل، غير أن تبني "يوسف الصديق" لهذا الرأي مدعاة للقول أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا بشراً "نحن نشترك معه في هذه الإنسانية"<sup>9</sup> وهو بذلك ينفي الاختيار والاصطفاء وحتى النبوة، وأظهر توجيه هذا مدى تأثره بأطروحات المستشرقين ودعواتهم، ومنهم من لم يقف عند هذا الحد بل يذهب مذهب الشك المؤسس على "أن محمد صلى الله عليه وسلم ليس برسول، وهناك من ينكر حتى وجوده"<sup>10</sup>، وهي فكرة مغالطة أراد المستشرقون المتعصبون إثباتها، حيث نفوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم انطلاقاً من نفيم للوحي، وبمقارنة بسيطة بين آرائهم وآراء "يوسف الصديق" فإننا نجد هذا الأخير قد وسّع دائرة الوحي لتشمل جميع البشر، ويكرّس بشرية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

## 2.1 المصحف:

قدّم المفكر "يوسف الصديق" مقارنة جديدة حول المصحف؛ حيث ميّز بينه وبين القرآن، ووضّح أن "القرآن ليس هو ذلك المصحف الورقي المتداول بين المسلمين ويُتلى على مسامعهم، إن مفردة القرآن بالمعنى الكوني للكلمة، تعني الكون وتنظيمه، وقد خُلِق قبل كل شيء، إن القرآن هو الله ميتافيزيائياً وهو الله في تجليه، هكذا يجب أن نفهم جدية النظر إلى نص القرآن لا أن نحصره في صفحات"<sup>11</sup>، وبذلك علينا تجاوز المفهوم السطحي لما نعنيه بالقرآن؛ وضرورة استبعاد ارتباطه بالجانب المادي، وإحاقه بدلاً من ذلك بالمستوى الميتافيزيقي لله؛ لاسيما أنه خُلِق قبل خلق الإنسان\*، وهو حالة متعالية عن الفهم لأن الله متجلّ فيه، في حين يكون المصحف عبارة عن "نص تاريخي ينطبق عليه

التطوّر، ويمكن أن ينطبق عليه ما ينطبق على أي كتاب آخر يحمل من القيم الكونية ما يُؤهله إلى أن يكون إنسانيًا، ولكن علينا أن نحذر مما نقصده بأن القول الإلهي متطوّر، فالتطور هو في ذاتي أنا وفي ذاتك أنت في تفاعلهم مع هذا النص<sup>12</sup>. إن اللجوء إلى التمييز بين القرآن والمصحف كان بمثابة خطة منهجية من قبل مفكرنا لتمرير مبادئ القراءة التاريخية أولاً، ولإنزال المصحف منزلة النصوص البشرية ثانيًا؛ أين يمكن أن ندرسه بمنهج علمية، ونخضعه للنقد وبذلك تنتفي عنه صفة التقديس، لأن القارئ بصدد تقديم فهم حول المصحف بحسب الشبكة الإدراكية له، فينقل حمولته الإيديولوجية ويصبغها على هذا النص، لا على القرآن المتعالي المساوي لله ميتافيزيقيا.

ولم يكن المفكر "يوسف الصديق" الوحيد من اقترح هذا التمييز بين (القرآن، والمصحف)، بل إن المفكر الجزائري "محمد أركون" (1928-2010) وفي آخر أعماله "قراءات في القرآن" حاول تصحيح المقاربات التي تضمنت مفاهيم القرآن، والوحي، وأكد على أن البحث عن معنى القرآن والمفاهيم التي تدور في فلكه في العالم العربي والإسلامي عرف ضعفًا في الضبط وذلك لوجود "فراغ فكري وعلمي ومنهجي كامل، يعود سببه إلى انعدام علوم الإنسان والمجتمع في الجامعات العربية والإسلامية عمومًا، وخاصة عندما يتعلق الأمر بموضوع حسّاس كالقرآن، فإن السائد هو إما الرقابة الذاتية التي يُمارسها الباحث على نفسه خوفًا من المحيط الحركي الأصولي، وإما النزعة الامتثالية الجافة والأرثوذكسية المفروضة على الباحثين المسلمين<sup>13</sup>، وبهذا يعود القصور الإبستيمي للدراسات الإسلامية التي تتخذ من القرآن مجالاً للبحث، لطبيعة الموضوع في حد ذاته؛ إذ أن القرآن أحيطت به هالة من التقديس وترسبت عليه على مر الزمن، فصار من غير المقبول الخوض فيه دون التوجس من الوقوع في شرك الوصم بالكفر، وتبعات ضغط الشارع، والخوف من المجتمع المحيط بعقليته الدوغمائية الإقصائية، وتأسيسًا على ذلك يقترح المفكر "محمد أركون"

وجود عدّة "مراحل في ما يخص الوحي لا مرحلة واحدة على عكس ما يظن الناس، وهي تمييزات تفرضها علينا الألسنيات الحديثة وعلم التاريخ، لأننا متعودون منذ أربعة عشر قرناً تكثيف مستويات ومراحل مختلفة من إنتاج المعنى في كلمة واحدة هي: القرآن، كما أن الوحي الذي أُوصل إلى البشر ليس كل الوحي إنما مقاطع متفرقة من الكلام الإلهي اللانهائي (...) أما المقصود بالمصحف جملة الصفحات المربوطة ببعضها بعضاً داخل مجلد واحد"<sup>14</sup>، لعل القارئ لهذه الاستنتاجات والفروق المُقدّمة سيجد نفسه كأنه أمام تشريح وتفكيك لنص أدبي أو تاريخي وليس للنص القرآني، فمثل هذه العبارات التي أنزلت المصحف لأن يُوصف بالورقات المربوطة!! لهو من قبيل التناول والجحود، فصحيح أن المناهج العلمية تُوجب التعامل مع النصوص والخطابات الدنية بمنطق الموضوعية وتُلزم الباحث أن يتخلص من هيمنة انتماءاته الإيديولوجية مهما كانت، لكن من غير المقبول أيضاً تلك التوصيفات المبتدلة التي لا تليق بنص في قدسية القرآن، فكما تتطلب الموضوعية العلمية الالتزام والحذر في التعامل مع هذا النوع من الخطابات، يجدر في المقابل بمتقولي احترام خصوصيات القرآن، حتى نصل إلى إضافات علمية صرفة دون الدخول في متاهات الخوف من التكفير بسبب التفكير.

وقد قدّم المفكر السوري "محمد شحرور" (1938-2019) هو الآخر تمييزاً بين (القرآن، والمصحف) وذكر ذلك في كتابه "الكتاب والقرآن" واهتدى لوجود خطأ جسيم وقع فيه المفسرون؛ حيث توصل إلى أن "القرآن شيء والكتاب شيء آخر، والقرآن جزء من الكتاب، والكتاب هو الرسالة، والقرآن هو كتاب الوجود المادي والتاريخي"<sup>15</sup>، واستمر في توضيح تلك الفروق، وكان في كل مرة يستعين بطريقة هندسية يبدأ فيها من القاعدة إلى الهرم؛ من المتاح أمامنا من مظاهر واضحة تبينها الآيات القرآنية، إلى الحقائق المطلقة التي لا

نستطيع بلوغها، وما يكون أمامنا من آيات هي مناط التأويل والذي يكون عادة متحرِّكًا متطورًا ومستجيبًا لقدرات استيعاب الإنسان في ذلك العصر. ثم أتبع تمييزه هذا بعدة تصورات تصب في الدعوة إلى ضرورة الابتعاد عما قاله السلف، والاهتمام بقراءة القرآن باستخدام مناهج وقواعد البحث العلمي الموضوعية ومستجداته.

والمُلاحَظ حول حركة سير المفكرين الحدائين العرب والمسلمين نصيهم لشبكتهم المفاهيمية المحيئة التي تبدأ بتفكيك كلمة القرآن باعتباره حملاً لمخزون معرفي ومفاهيمي ثقيل، ومن ثمة تفرّعه إلى مدلولات صغيرة لكل مفهوم فيها معنى خاص يخدم نموذج القراءة المقترحة لديه.

### 3.1 الكتاب:

يعتقد المفكر "يوسف الصديق" أن للكتاب معاني عديدة، وفي بحثه عن مقابله في اللغة اليونانية وجد أن هذه الكلمة "تتوافق في مدلولها تماما مع كلمة ((لوغوس))، ويدل اللفظان العربي واليوناني على المرحلة المكتملة من خطاب ما لكن إن أمعنا النظر نلفي أنفسنا أمام جملة من المعاني تتجدد وتحدد دلالاتها في كل مرة، فلمعنى الكتاب بُعد تحقيري ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ﴾، وفي سياق تقريضي المراد به التعبير عن مشيئة إلهية ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، وإنجاز رغبة، وكذلك يعني العدد ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾<sup>16</sup>، وبذلك تتعدد المعاني التي يكتسبها مفهوم الكتاب، فيتأرجح بين مفهوم يحمل مرات الدلالات السلبية ومرات أخرى الدلالات الإيجابية، غير أنه لم يُراد به مطلقا المصحف ولا القرآن ولا القول القرآني.

بل إن دمج كلمة القرآن والكتاب كان أكبر خطأ ارتكبه المفسرون القدامى، حينها أوصدوا باب تعقل القرآن بلفظ الكتاب، وكأنّ الكتاب رسمٌ منتهٍ وفي طيّه يُحسم القول. وبعد حصره لمعاني الكتاب ودلالاته، يقترح المفكر "يوسف الصديق" تعريفه للفظة الكتاب، فهو "المعنى الشامل لفكرة العالم"<sup>17</sup>،

لقد نقلنا مفكرنا من الجانب المادي السكوني لمعنى الكتاب نحو جوانب أرحب، وذلك باستدعائه لمفهوم رؤية أو فكرة العالم، حيث جعل لكل رسول رؤية بفضلها ينكشف أمامه العالم، وتختلف هذه الرؤى باختلاف المزايا التي منحها الله لكل رسول.

إن الفروق -بين الوحي، والقرآن، والكتاب- التي وضّحها المفكر "يوسف الصديق" كانت بمثابة حجر الأساس ونقطة الانطلاق لتأسيس قراءته التأويلية، فبإقراره هذا التمايز أعطى الشرعية لعمله في أنه يؤوّل نصًا دينيًا مكتوبًا، وأنه استجاب لدعوة التدبر التي أفصحت عنها فكرة القول القرآني، لا بكونه يدنّس القرآن في تجلياته الميتافيزيقية.

## 2. مفهوم القراءة وطبيعتها لدى المفكر "يوسف الصديق":

لما كانت مهمّة مفكرنا التطبيق العملي لفعل القراءة والتأويل على النص القرآني، ونلاحظ ذلك من خلال مسعاه ومقارباته حول الآيات القرآنية، كان اهتمامه بتعريف القراءة في حد ذاتها عملاً مُتجاوزًا، فقد استهل مشروعه الفكري بترجمة القرآن وذلك من خلال كتابه "القرآن قراءة أخرى ترجمة أخرى"، وأعاد موضعة السور القرآنية وآياتها وفقا لموضوعات اختارها هو بدءًا بموضوع: "كتاب الكتب، العالمين، العلم، الله، الظن، الآخرة، الإنسان".

## 2-1 مفهوم القراءة:

يمكننا استنتاج تعريف القراءة لدى المفكر "يوسف الصديق" من خلال المؤشرات والقرائن التي تركها عبر مختلف أعماله، في كونها تنطلق من الصفر تزيح مكانة المُفسّر وتُلغي مهمته في توجيه الفهم، ويبرر ذلك في أنه "لم ترد في الخطاب القرآني إشارة واحدة على أية مشروعية تحظى بها هذه الشخصية كي تتولى توجيه القراءة، كما أن الإيمان لا يشترط وجود جهة تزود المؤمنين بمعنى يُترجم ما أراد الله قوله لهم"<sup>18</sup>، وتتطابق هذه الفكرة مع المقاربة "البارتية" "Roland Barthes" (1915-1980) في كتابه "درس السيميولوجيا" وتحديداً

فكرة "موت المؤلف" عندما اعتبر "اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف، وأن انسحاب المؤلف يُغيّر النص رأسًا على عقب"<sup>19</sup> وبفضلها يُتاح المجال أمام القارئ الذي سيُصبح بدوره مؤلفًا جديدًا، ومن هذا المنطلق كان انتقال الاهتمام من النص والمؤلف إلى القارئ يُمثل كنه وجوهر نظريات القراءة\* والتي تؤكد على دور المتلقي الذي أصبح شريكًا في صناعة الفهم، لا طرفًا سلبيًا. إنَّها الدعوة ذاتها التي تبناها مفكرنا من خلال القضاء على الوساطة الكهنوتية، وإحلال فكرة القارئ، فلتكون بذلك قراءتنا للقرآن فعلاً جديداً "كأن شيئاً لم يكن... كما لو أننا اقتربنا من هذا القول وقد أصبح سفرًا مسطورًا لم يحلْ دونه حاجز، ولا يُشَقُّ إقامته آلة دوغمائية هائلة"<sup>20</sup>، وكأنَّ نعمة القرآن قد حلَّت بنا اللَّحظة؛ اللَّحظة التي أفتح فيها أنا وأنت المصحف ونقرأ، ونُزج بذلك سمك الإيديولوجيات المترسِّبة التي حالت دون اكتشاف دلالاتٍ جديدة، وتأسيس فهمٍ محيِّنة لهذا النص، ويجدر بنا التنويه إلى أن مشروع المفكر "يوسف الصديق" ينتمي إلى مجال نظريات القراءة؛ والتي يتم فيها إعطاء دور أساسي في تناول النص الديني إلى القارئ لا إلى سلطة الجماعة المُفسِّرة، فقد أضحت خبرات القارئ *Expérience de lecteur* من مكونات النص وفقاً لرؤية "ستانلي فش" Stanley e. Fish (1938-)، و"رومان إنجاردن" Roman Ingarden (1893-1970) وغيرهم من رواد نظريات القراءة.

ننتهي إلى أن القراءة بهذا المعنى تُوسِّع دلالة الفعل "اقرأ" الوارد ذكرها في قوله تعالى وتحديدًا في سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)﴾<sup>21</sup> من فعل فهم على أنه يخاطب حصراً الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى كونه فعلاً موجَّهاً إلى جميع البشر على مرِّ العصور؛ وتأسيساً على هذا الطرح يكون الفعل "اقرأ Lire" فعلاً مُرسلاً لي وليس لرجلٍ في زمن الوحي (610هـ)<sup>22</sup>، ومما تقدّم يمكننا استخلاص الخصائص المفهومية العامة للقراءة لدى المفكر "يوسف الصديق" بكونها قراءةً تنطلق من درجة الصفر، قراءة مباشرة، متجددة، محيِّنة،

ومرتبطة بما يضيفه القارئ على النص؛ وهذا ما ينطبق تماما مع ما قدمته نظريات القراءة والتلقي لأبائنا المؤسسين" فولفغانغ إيزر-Wolfgang Isère (1926-2007)، و"روبرت ياوس" Robert Jauss (1921-1997) ومن هذا حذوهم.

## 2-2 طبيعة القراءة:

تتنمي القراءة التي قدمها المفكر "يوسف الصديق" للقرآن إلى القراءة التاريخية، ونقصد بالتاريخية مفهوم ظهر في الفكر الغربي للدلالة على أن كل شيء "وكل موضوع معرفي أنه نتاج حاضرٍ ناشئٍ عن التطور التاريخي"<sup>23</sup>، وقد التمس العديد من المفكرين فكرة التاريخية لتفسير الوجود كالتاريخية الهيجيلية والماركسية؛ وبالرجوع إلى الأدبيات الفلسفية نجد أن "التاريخية" عرفت أزمة عجلت "بانهيارها كتقليد أكاديمي، إلا أنها انتقلت ووظفت لبعث الفهم الهرمنيوطيقي والميتافيزيقي"<sup>24</sup> خاصة مع "مارتن هيدغر" Martin Heidegger (1889-1976)، ومع مفكري ما بعد الحداثة\* من أمثال "فلهلم دلتاي" Wilhelm Dilthey (1833-1911) الذي سعى "وهدف لتشديد مناهج للوصول إلى تأويلات ((صائبة موضوعياً)) لتعبيرات الحياة الداخلية، وذهب تحت تأثير كونت إلى أن الخبرة المعاشة التاريخية الملموسة هي نقطة البدء لأي نظرية في العلوم الروحية"<sup>25</sup>، ويُفسر ذلك بوجود علاقة تلازمية بين ما يسميه (علوم الروح من جهة والحياة الإنسانية من جهة ثانية) فحتى نُقيم فهما لعلوم الروح علينا في البداية أن نفهم الحياة الإنسانية وفقا للخبرة المُعاشة\* وضمن نطاق تاريخي ووفقاً للبداية التالية؛ فبدلاً من أن نستعين بمناهج العلوم الطبيعية لفهم العلوم الإنسانية "نصوغ نماذج تأويلية للظواهر الإنسانية تكون مستمدةً من طبيعة الخبرة المعاشة ذاتها، وأن تكون قائمة على مقولات المعنى Meaning بدلاً من القوة Power، قائمة على التاريخ بدلاً من الرياضيات"<sup>26</sup>، قائمة على الحقائق النسبية لا المطلقة، وتستمد وجودها بما

يصبغه الإنسان بفضل خبراته على هذه الظواهر سواء كانت سلوكيات اجتماعية أو عناصر ثقافية (لغوية دينية وغيرها) لأنها تُمثل جميعها منتجات بشرية (human Product) تتضمن نسقًا من الرموز الخاضعة للتأويل.

أما في العالم العربي فقد تبني العديد من المفكرين التاريخية ضمن مشاريعهم الفلسفية، وسندستحضر أبرز من نادى بها، فلا يخفى على المتخصصين ما شهدته الساحة الفلسفية العربية من تنوع وزخم معرفي لمراجعة التراث الإسلامي، حيث وجدوا في التاريخية سبيلًا لذلك، فلا غرور أن تولي مؤلفات المفكر "محمد أركون" (1928-2010) على اختلافها أهمية تطبيق التاريخية على كافة "أنظمة الحقيقة التي سيطرت على البشر على مر التاريخ، من أجل الكشف عن البنيات التحتية المدفونة التي انبنت عليها الحقائق السطحية الظاهرة، وهذه المرة لا يمكن استثناء أي نظام بحجة أنه إلهي، فجميع التراثات الدينية سوف تخضع لمنهجية النقد التاريخي"<sup>27</sup> ومنه فإن قراءة "أركون" التاريخية تستند على أشكلة المفاهيم التي فرضتها الأنظمة اللاهوتية باعتبارها حقائق مطلقة، مستندًا على الوصف الفينومينولوجي phenomenology description القاضي بتعليق الأحكام اللاهوتية (فهو لا ينفي الوحي ولا الظاهرة الدينية، كما يأخذ بعين الاعتبار كون النص الديني هو مرجعية وجودية للمؤمنين)، إذا حاول "أركون" بعث التاريخية في النص القرآني والقيام بالحفر في أعماق بنية القرآن منذ نزول الوحي وتشكل المصحف ولاحقًا ظهور التفاسير، فبمراجعة كلية لكل ما سبق سيتضح أمامنا كيف انتقل الخطاب الإلهي الأزلي، واللائهائي، والمتعالي إلى نصّ نتصفحه بأيدينا وهو يأخذ المكانة اللاهوتية ذاتها، فالمراجعة برأيه ضرورية لأنها هي من تزيل هذا التداخل بين اللاهوتي والناسوتي، وتفكك السياقات الأنثروبولوجية والتاريخية وحتى الإيديولوجية، وتعيد لكل مستوى مكانته ضمن ثالوث [اللغة، التاريخ، الفكر]، وبفضلها يمكن أن نتجاوز المغالطات التاريخية التي نُسجت حول النص القرآني.



ويتطابق الأمر مع تصورات المفكر "يوسف الصديق" في كتابه "الأخر والآخرون في القرآن"، حيث وجّه انتقاده لطريقة تعامل المسلمين المعاصرين مع النص القرآني، أو مع الآخر المختلف عنا دينياً، ودعا إلى ضرورة تغيير هذه الذهنيات، التي لم ينشأ عنها إلا سوء الفهم، لسبب واحد هو أن السور القرآنية و"الآيات التاريخية؛ فمثلاً الآيات الداعية إلى القتال والحرب، إنما هي آيات تروي مسألة ظرفية، وحادثة تاريخية معينة، ولا يمكن تعميم حكمها على إطلاق الزمان وامتداد المكان وفي المقابل هناك آيات صالحة لكل زمان"<sup>28</sup> كتلك المتضمنة للبعد الأخلاقي مثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (90)<sup>29</sup> من هذا المنطلق وجد مفكرنا مقارنة للخروج من الهوة بين مستجدات الواقع وما ورد في السور والآيات وذلك بتطبيق القراءة التاريخية التي تعمل بمثابة مصفاة أو شبكة تفصل بين الأحكام الخاصة بزمان وفترة معينة، وبين الأحكام الصالحة لكل زمان ومكان.

أما المفكر "حسن حنفي" (1935-2021) فقد حاول رآب الشرخ بين التراث والحداثة، وذلك في دعوته إلى التجديد (تجديد لا يتصل من التراث، ولا يرحب ترحيباً مطلقاً بأفكار الحداثة الصرفة) بل يبيث استشكالاته عبر المستويين معاً، فهو المتسائل "لماذا لم تتطور العلوم الإسلامية القديمة وظلت ثابتة في لحظة تاريخية واحدة، ولم تتطور والزمن يتغير؟"<sup>30</sup>، إن العلوم والمعارف تنتمي برأيه إلى مجال واسع هو الثقافة، والثقافة بدورها تتغير بتغير الزمان والمكان فتعرف السمات الثقافية النمو والرواج والانتقال، وحتى الموت حينما يختفي ممثلها (الإنسان)، والمعرفة الدينية لا تشذ عن هذه القاعدة، ولهذا نراه يجعل من الوحي مثلاً "ظاهرة تاريخية، يظهر في التاريخ ويتجلى فيه، فالوحي ليس طائرًا في الهواء بل يهبط على الأرض ليستقر فيها، ووظيفة القصص بلورة الوعي التاريخي في الوعي الإنساني"<sup>31</sup> فالانتقال من الحاضر إلى الماضي ليس لأجل الاعتبار وأخذ

الدروس، أو أن نجعل من القصص مجالاً للترفيه واستحضارًا للماضي للتعريف بشخصياته، بل إن الإنسان يجد في القصص بعدًا من أبعاد الوعي الذاتي الخاصة به، والتي لا تكتمل إلا بوجوده، ولعل دفاع "حسن حنفي" عن الناسخ والمنسوخ من بين الدلائل على أن التغيرات تُطال سياقات النص القرآني؛ فالحقيقة أن التغيير "لا يتعلق بعلم الله في ذاته، بل إن النسخ تغيير حكم التكليف بناءً على مصلحة المُكَلَّف، لأن علم الله في ذاته ثابت"<sup>32</sup> وتأسيسًا على ما سبق فإن القول بالنسخ إنصاف للحقيقة الكونية وهي وجود التغيير، والذي لا يعد عيبًا ولا نقصًا بل هو من الإعجاز، وامتثالاً لآية النسخ في قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>33</sup>، ولذلك تتأسس شرعية القراءة التاريخية لديه في كونها امتثالاً لمجريات العقل والنقل معًا، وتتجاوز بذلك أحادية المعنى (تفسيرًا) إلى تنوع المعنى (تأويلًا)، وإعادة بناء وعي جديد قائم على بؤرة مغايرة هي الوعي الفردي والجمعي، والانتقال من اللاهوت الأسطوري نحو القراءة العلمية.

وقد أكد المفكر "نصر حامد أبو زيد" (1943-2010) هو الآخر وفي تحليله لأركيولوجيا الخطاب الديني، أن العالم العربي الإسلامي قد خسر كثيرا بعدم تبنيه للتاريخية وذلك لأن "الوحي ومن ثم الإسلام واقعة تاريخية"<sup>34</sup> ولا يمكن لعقل إنكار ذلك، ذلك لأن المفاهيم المكوّنة للخطاب الديني ذات بُعدٍ تاريخي وهي "نتيجة طبيعية لتاريخية اللغة التي صيغت بها النصوص، ولا خلاف في أن تاريخية اللغة تتضمن اجتماعيتها، الأمر الذي يؤكد أن للمفاهيم بعدها الاجتماعي، الذي يؤدي إهداره لإهدار دلالات النصوص ذاتها"<sup>35</sup>، لقد فكك "نصر حامد أبو زيد" حيثيات تشكل الخطاب الديني بدءًا من كونه ينتمي إلى لغة تحوي أبعادا اجتماعية، وتتفرع هذه اللغة إلى مفاهيم تحمل السمات الاجتماعية والتاريخية نفسها، وأن أي قراءة تأويلية ستتشكل لاحقا ستمارس بدورها سلطتها وفقا لما تراه مناسبًا، ووفقًا لآلية الزمن الذي تكون فيه، فتُبقي

على ما تراه يخدمها، وتلغي ما تراه دون ذلك والتزاما بالغاية التي يحددها الفقيه باعتباره وصيًا على النص؛ (فمثلا حصر الفقهاء الاجتهاد حول النصوص التشريعية، وعارضوا فكرة الاجتهاد في مجال القصص والعقائد) ونظرًا لما تُفرزه التاريخية من إشكالات، فقد ناهض العديد من المحافظين تطبيق القراءات التاريخية على النص القرآني، وحصرها مهمة القرآن في الترتيل فهو نص مقدسٌ ووسيلة للتعبد، ورفعوا شعار لا اجتهاد مع النص.

إن الرجوع إلى السياق العام للقائلين بالقراءة التاريخية يمثل حجر الأساس لفهم موقف المفكر "يوسف الصديق" للقرآن، لأنه اعتمد على اجتهادات كل من سبقوه في بناء مبرراته للقول بتاريخية القراءة، وكان تأثره بهم واضحاً.

### 3.2 مبررات القراءة التاريخية لدى المفكر "يوسف الصديق":

#### 1.3.2 التفاسير تتغير:

قدّم المفكر "يوسف الصديق" عدّة مبررات يشرح فيها أسباب تبنيه القراءة التاريخية؛ في البداية شدد على ضرورة مراجعة مدونات التفسير، وخاصة التدقيق فيما تضمنته "علوم القرآن، وهي علوم متأخرة المنشأ تاريخياً مثل علم الناسخ والمنسوخ، وعلم أسباب النزول، وذلك لأن أول العلوم الدينية هو علوم الحديث رواية وتدوينها، ثم نشأت علوم النحو والصرف وفهم القرآن وبصفة متأخرة في القرن الرابع ثم في القرن الخامس نشأت علوم النسخ ثم علم أسباب النزول"<sup>36</sup> ولهذا كانت برأيه هذه العلوم –علم النسخ وأسباب النزول- اجتهادات لعلماء تناولوا السور القرآنية بعيون عصرهم وقدموا حولها آراء سيتجاوزها الزمن حتماً، وما يُعزز رأيه اختلاف الرؤى من الآيات النسخة والمنسوخة "فنحن لم نتفق في تحديد عددها؟ فهناك من يعتبر أن هذه الآيات ناسخة وهناك من يرى أنها غير ناسخة، وهناك من يثبت أسباب النزول بسبب هذا السبب أو لهذه المناسبة، وهناك من يعتبر أن هناك مناسبة أخرى لنزول الآية"<sup>37</sup>، وهذا دليل آخر أن الأصل في التفسير الاختلاف والتغير باستمرار،

وليس الثبات، وما حدث في العالم الإسلامي تقديس التفاسير والمرويات بالقدسية نفسها التي يحظى بها النص القرآني، وقد نتج عن ذلك آفة التكرار وبرز قطيعة مع مستجدات العصر، لذلك "علينا أن نقرأ القرآن في ظرفه التاريخي وعلينا أن نؤرخ لنزوله، فهذه مهمة القارئ وليست مهمة القرآن"<sup>38</sup> فالنص القرآني نص ثابت والقارئ هو من يشكل المعاني ويبحث عن الدلالات والفهم، وذلك بمحاولة إقامة مقارنة بين ما يقرأه وبين ما لديه من خبرات وما يُتيح له زمنه من معارف ومن مناهج علمية.

صحيح أن اقتراح المفكر "يوسف الصديق" في إتاحة المجال أمام القارئ في صوغ الفهم حول النص القرآني اقتراح مقبول إلى حد ما، لكنه في المقابل يحمل مخاطرة غير محمودة العواقب، وذلك لما قد تسببه اختلاف القراءات من فوضى، فيفقد النص مكانته، ويُبتذل وهو نص مؤسس في ثقافتنا العربية الإسلامية، ومن جهة ثانية لم يحدد المفكر "يوسف الصديق" شخصية القارئ التي تتولى مهمة القراءة - هل هو الفقيه، أم الفيلسوف، أم العالم، أم عامة الناس -، فهو من جهة يطالب بإزاحة المؤسسة التفسيرية، ولم يقترح البديل، وهذا ما جعل موقفه ضعيفا ومكرراً لما قيل سابقا ويجعله كغيره من المفكرين الذين يصدرون الأفكار على عواهنها، ولا يأبهون بالخصوصيات السوسيوإستيمية لمجتمعاتهم.

### 2.3.2 الخلفُ أعلم من السلف:

يبني المفكر "يوسف الصديق" مبرره الثاني للقول بالقراءة التاريخية بالرجوع إلى التمييز بين الزمن القديم والحاضر، فيما أننا "الآن في زمن غير الزمن القديم، اتسعت رؤية النظر وتوسع التأطير بفعل تقدم العلوم والبحوث، وعليه وجب أن تكون معارفنا في النص القرآني مخالفة لما كان يعرفه الخلفاء الراشدون، بل إن معارفنا متطورة عن معارف السلف"<sup>39</sup>، وذلك لأن العلوم تراكم\* وتبني، تبدأ ضئيلة وتتجه نحو الكبر والتكوثر، ولن تتوقف مسيرة

القراءة والاجتهاد إلا بنهاية آخر قارئ على سطح الأرض، فنحن أخذنا عن القدامى، وبنينا اجتهادات صالحة لزماننا، وسيأتي من بعدنا أجيال تواصل المسيرة، من هنا أصبحت القراءة التاريخية ضرورة لإقامة القطيعة المعرفية مع اجتهادات السابقين من خلال البناء على صرح اجتهاداتهم اجتهادات جديدة، وهكذا استبدأ "ثقافة علمية في حالة تعبئة دائمة، وإبدال المعرفة المغلقة والجامعة بمعرفة منفتحة وناشطة"<sup>40</sup> تساير التغيرات وتنشد التطور، هذا التطور الذي عرفته كافة ميادين المعرفة، فما الذي ينقص المعرفة الدينية حتى تُطور من نفسها؟

لعلّ أول عائق يحول دون تحقيق مبتغى القراءة التاريخية هو طبيعة المعرفة الدينية في حد ذاتها؛ وخصوصيتها\* والتي لا يمكن أن ينكرها أحد في كونها تحوي مخزوناً (لغويًا، وثقافيًا، واجتماعيًا) ضخماً وثريًا، ومن الصعوبة بمكان تجاوزه نحو النص المؤسس (القرآن) مباشرة، فلو راجعنا فقط مدونات التفسير لما كفانا ذلك أجيالاً، لكن ما نراه عبر كتابات المفكر "يوسف الصديق" اللجوء إلى القراءة الانتقائية للتراث التفسيري، والدعوة المباشرة لتجاوزه نحو بسط مناهج القراءة على النص القرآني. والهرولة نحو التطبيق الأعمى للتاريخية الغربية عليه، وهذا ما يجعلنا نقف موقفًا معارضًا ورافضًا لمنهجيته المتبعة لما لها من ثغرات ونقائص لا يجب أن تكون عند تناول نص مؤسس كالقرآن، وأن هذه المبررات على قدر موضوعيتها، على قدر أنها لم تكن وظيفية، ولم تقدّم الجديد بل أعادت تكرار ما قيل منذ زمن.

### ثالثًا: في تطبيقات القول القرآني:

لما كان القول القرآني مفهومًا محوريًا لدى المفكر "يوسف الصديق"، ومدخلًا ضروريًا لتأسيس قراءته الحداثية للسرور القرآنية؛ قاده هذا نحو تجاوز التراث التفسيري السابق في فهم السرور القرآنية إلى أبعاد أخرى:

## 1. البعد اليوناني في السور القرآنية :

تساءل المفكر "يوسف الصديق" عن مجال وُبعد لم يتطرق له المفسرون ولا المؤولون فوجد أن البعد اليوناني والثقافة اليونانية كانت مُغيبّة ومستبعدة في تفاسيرهم ومؤلفاتهم، وذلك لاعتقادهم أن القرآن نزل إلى العرب بلغتهم وفقط، وهو بذلك رسالة سماوية بعيدة عن كافة العلوم وبكونه مجالا لا يلتقي مع الفلسفة، لهذا نجده حاول في مشروع قراءته أن يعطي نافذة جديدة في فهم وتأويل القرآن، من خلال توظيف الفلسفة والتراث اليوناني.

فأمن بوجود هذا التراث الهيليني في القرآن، ودافع عنه وكشف ذلك أكثر عند ترجمته لشذرات من قصيدة "بارمنيدس"، وقاربها بما ورد في سورة الإخلاص؛ حيث بدأت القصيدة بوصف لرحلة يسافر فيها المرء من عوالم الأهواء واللاعقلانية نحو عالم عقلاي، يلتقي فيها المسافر بالآلهة، وتحدّته عن سبل الحقيقة المتشعبة لتنتهي هذه الطرق بذكر خصائص موجد هذا الكون بوصفه "أنه لم يُولد فهو لا فان، مُصمّت هو، أتمّ هو، أقرّ ولا حدّ، لم يكن قبل ولن بعد يكون، فهو هو في آن، تمام كله، أحد صمد، وأنى له أن يلد" <sup>41</sup> وقد اتجه مفكرنا إلى القول أن عبارات القصيدة هذه، هي ذاتها التي وصف فيها الله نفسه بكونه أحد صمد لم يلد ولم يولد، يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ <sup>42</sup>، ويمكننا أن نستنتج من خلال هذه المغامرة التأويلية للمفكر "يوسف الصديق" أنه أراد إثبات المنابع الهيلينية للقرآن، والقول بأن القرآن نص مستغرق لكافة الأزمنة والأمكنة والعلوم، غير أنه لم يعط أبعادًا أخرى لقراءته هذه واكتفى بتوضيح التشابه بين القصيدة البارمينيدية وسورة الإخلاص، وأن النص القرآني نصّ فلسفيّ يتضمن الحكمة في أعلى مراتبها.

وفي السياق ذاته ذكر المفكر "يوسف الصديق" أن العديد من السور القرآنية تضمنت كلمات يونانية من أمثلة ذلك؛ "كلمة زخرف Zukhruf ، والكوثر Katharsis، والأنفال néphalios، وسيماهم sêma، والصابئة Sebô، وسجيل sigaloeis"<sup>43</sup>، وغيرها من الكلمات التي تتشابه نطقا ومعنى في اللغة العربية كما في اليونانية، لكن التساؤل الذي نطرحه هنا: لماذا اكتفى مفكرنا بتحديد التشابه، ولم يقدم جديدا حول المعاني؟ بل إنه وافق معظم التفاسير فمثلا في تفسيره لكلمة الزخرف الواردة في سورة الأنعام الآية (112) أن معنى ﴿زخرف القول﴾ هو "زوغرافوس (Zographos) ، والتي تعني من يحملون خطابا مخادعا"<sup>44</sup> والتفسير ذاته نجده لدى الطبري حيث أن معنى "يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ" فإنه يلقي الملقى الملقى منهم القول الذي زينته وحسنه بالباطل"<sup>45</sup> وبالطريقة نفسها قدم تأويلاته لمختلف الكلمات، حيث يوافق على المعاني الواردة في التفاسير، فما هي مهمته هنا؟ أتكنم فقط في رصف الكلمات اليونانية؟

إنّ القراءة التأويلية التي قدّمها مفكرنا –برأينا- هي قراءة ناقصة وغير تامة، وهذا ما جعلنا نطرح السؤال التالي: هل كان مسعى المفكر "يوسف الصديق" أن يربط فقط الكلمات العربية بالأصل اليوناني وتنتهي مهمته؟ أم كان يريد أن يُظهر مدى قوة الكلمة القرآنية حتى بدون أن نترجمها سيفهمها الآخرون؟ أم هي مغامرة تأويلية تدعوه للقول بأن القرآن قد اقتبس من اللغة اليونانية أيضا؟ خاصة وأنه عقد مقارنة بين القصص القرآني الوارد ذكرها في سورتي "يوسف" و"الكهف" والأحداث التي ذكرتها الأساطير اليونانية مع أسطورة "أوديب" وأسطورة جندي "الإسكندر"؟

## 2. الآخر والبعد الإنساني في القرآن:

آمن المفكر "يوسف الصديق" بأن القرآن حمّال للقيم الإنسانية العليا، وأنه وراء كل سورة أو آية فلسفة إنسانية، وأوّل ما قام به في مشروعه حول

إعادة قراءة القرآن هو استحداث قطيعة معرفية مع كافة التفاسير والمعتقدات السابقة، والتي كانت برأيه تضم أفكارًا متطرفة ناتجة عن سوء فهم الآيات خاصة في تعاملنا مع الآخر المختلف عنا دينيا، وكانت دعوته بذلك مبنية على إعادة لم شمل الإنسانية تحت لواء الأخلاق القرآنية، "وأن نتعامل مع الآخر المختلف عنا في حضارته وعقيدته تعاملًا تفاعليًا"<sup>46</sup> قائم على الاحترام أولاً والتعاون لإعمار الأرض، والتقبل ثانياً، لأن الآخر لا يشكل مجرد نقيض لي، بل هو نصف البشرية، أو الوجه الآخر من الثقافة الإنسانية، والتي لا تكتمل إلا بوجوده.

إن فلسفة الإنسان في القرآن مبنية على روح التسامح الديني مع الآخر، وقد حثت معظم الآيات على ذلك، لا سيما وأن الإسلام "يحتل مكانة لم يسبق لأي دين آخر أن وصلها، فهو يعترف بشكل كلي بالديانتين السابقتين (اليهودية والمسيحية)، إنه يستحضر السياقات، والأعلام، والأماكن والرموز، والمسلمون لا يرفضون تعاليم موسى في التوراة، ويعترفون بالمسيح بكونه روح الله، وكل ما يرفضونه من المسيحية قولهم بالثالوث وبالتجسيد"<sup>47</sup> إن الإسلام كان ولا زال دائماً يحترم التعدد الديني ويحترم الثقافات، وتروي كتب التاريخ سماحة الإسلام إذ لم يكن يوماً "من الأيام متعصباً كما يُفترى عليه، بل على العكس من ذلك فلقد كان أكبر عون لحرية الإنسانية وحضارتها"<sup>48</sup>، وعتقها من الجهل والعبودية والانهياب الأخلاقي والتعصب والحروب، فضمن الحقوق وأشاع العدل، بينما عرف العالم الغربي عقوداً من التخلف والانهياب ولاحقاً الحروب الصليبية، ومن ثمة "التبشير المسيحي خاصة ذلك الذي قاده "ريموند لول" Raymond Lulle (1233-1316)، نحو المسلمين والأراضي الإسلامية باستخدام أسلحته الفكرية أين وجّه حملته في كل مكان؛ في دمشق والقدس، في بجاية وفي فاس"<sup>49</sup> وهنا يمكننا التمييز الموضوعي بين ما يدعيه الغرب بكونه موجد الحرية والديمقراطية والإنسانية، وما يحمله من شعارات يعمل عكسها



عندما يتعلق الأمر بالشعوب المسلمة، فكيف لنا أن نلمّع بارانويا Paranoia الغرب على صفحات تاريخها الملطخ بالعنصرية؟  
ولذلك يكون القرآن باعتباره دستوراً للإسلام، ومحمدًا صلى الله عليه وسلم، بوصفه خاتم الأنبياء والرسول المؤسس لدين جامع مصحح لما قبله ومحتو للبشرية كافة، والمتقبل لتنوعها تحت رحابة الإنسانية؛ أي إنسانية نقصد؟ تلك التي تقوم على التقبل التعارف والأخوة والرحمة... إلخ، فأن تكون مسلمًا لا يعني بالضرورة إنتماؤك للإنسانية، فدينك الذي حصلت عليه بالاسم أو وراثته بشهادة ميلادك لا يشفع لك سوء فعلك، ولا يبرره لك، فالإنسانية غاية أما الإسلام فهو قرار، وهذا ما أكدته الآيات القرآنية في عديد المناسبات، حيث خاطبت الناس، قبل أن تخاطب المسلمين.

ويتقاطع هذا الطرح الذي قدّمه المفكر "يوسف الصديق" مع مقارنة الأنسنة" لدى المفكر "محمد أركون"، إذ يؤرخ للمآلات الكارثية لنسيان الأنسنة في العالم العربي الإسلامي حيث عاد بنا إلى "النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وما شهدته الساحة العربية من توسع نظري وازدياد الدور الذي يلعبه العقل الفلسفي من أجل تجاوز الصراعات الطائفية (...). فقد كان هناك جو هائل من التسامح، وشيوع مثل هذا التسامح في تلك الفترة القديمة يدهشنا اليوم، لما نشهده من ضيق عقلي وتزمت فكري في شتى أنحاء العالم الإسلامي"<sup>50</sup> فصار منطق الإقصاء هو الحَكَم، وتشظت الفرق والمذاهب الإسلامية وكل واحدة منها تؤكد أحقيتها في إمامة الجميع، فأى تسامح ندعو له ونحن لم نتسامح مع بعضنا بعضا حتى نطالب الآخر المختلف عنا دينيا بأن يقيم وفق تصوراتنا قيم التسامح والأخلاق العليا وهو يلاحظ سلوكياتنا ويندهش من نفاقنا؟ بل صار يكره إسلامنا قبل أن يعرفه، إن نزعة الإنسانية التي كررها لسان حال جميع المفكرين "نزعة شاملة تتجاوز حدود الأديان والطوائف والقوميات والأعراق لكي تصل إلى الإنسان في كل مكان"<sup>51</sup> وهي ليست مهمة يوجهها الخطاب

الثيولوجي وحده، بل هي مهمة إنسان هذا العصر الذي قهر المسافات وخلق سبل التواصل في أقوم مسالكها، فقد استطاع توحيد لسانه، واختزل عالمه ضمن رموز مشاعر Emoticon تعيد في انتقالها خوارزميا تشكيل معالم الإنسان باعتباره إنسانا فقط.

#### رابعا: ملاحظات نقدية حول مشروع المفكر "يوسف الصديق":

إذا افترضنا أنه لا وجود لمشروع فكري كامل، وما هو متاح محاولات علمية تُحسب لأصحابها، فإن هذا يقودنا للبحث عن الانتقادات الموضوعية التي دارت حول مشروع المفكر "يوسف الصديق"، في البداية يمكن أن نستعير أي انتقاد وُجّه لأي مفكر معاصر قدّم قراءة تأويلية للقرآن ونسقط أفكاره على مشروع "يوسف الصديق" وذلك للتقارب الكبير بين ما أورده في كتاباته وما تناوله سابقوه؛ ويظهر ذلك مثلا: في قوله بالشدرة "Fragment" والتي استعارها من "جاك بيرك" "Jacques Augustin Berque"، (1910-1995) والتاريخية التي اقتبسها من كافة المفكرين من أمثال: "محمد أركون"، و "محمد شحرور"، و"نصر حامد أبو زيد"، وغيرهم، ومقولة الأنسنة، وإشكالية جمع القرآن، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية لو عدنا إلى كتاب "سؤال العمل" للمفكر المغربي "طه عبد الرحمن" (1944-) فإننا نجده قد صنّف ترجمة المفكر "يوسف الصديق" المعنونة بـ"القرآن قراءة أخرى، ترجمة أخرى"، Le Coran Autre Lecture, Autre Traduction بكونها تنتمي إلى «نموذج الترجمة التأصيلية الفاسدة، فليس كل نقل جزئي للقول الثقيل يُعد ترجمة تأصيلية له، إذ يجوز أن يقع هذا النقل في معاملة القول الثقيل بما يُعامل به القول الخفيف، جاعلا التأصيل بالنسبة إليهما شيء واحد»<sup>52</sup> ويُعلل المفكر "طه عبد الرحمن" المقابلة بين النص الثقيل (القرآن) والقول الخفيف (الترجمة) بكونهما طرفين غير متكافئين فكيف نجعل القرآن بما يحمله من أبعاد كبرى متعلقة بـ(الله باعتباره ذات

متعالية، والوحي، والرسول المبلغ صلى الله عليه وسلم) مقابلًا ومساويًا للترجمة الإنسانية المحدودة، خاصة وأن "يوسف الصديق" قام بالحذف الجزئي للقول الثقيل، مما جعل فعله هذا يُدرج ضمن الاختلاس لأن همه كان تطبيق ما تلقاه من تعاليم المناهج الغربية، باحثًا عن العناصر اليونانية في النص القرآني، ناكرا لعربية القرآن في قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾<sup>53</sup>، ومتقصيًا عن الميتافيزيقا في الآيات والسور وذلك لبيعث افتراءه أملا منه أن يُقحم القرآن ضمن الفلسفة الغربية.

وقد وجّه المفكر التونسي "أبو يعرب المرزوقي" (1947-) نقدًا له في مقال عنوانه بـ"يوسف الصديق، هل "يفكر"؟ أم "ينكت" بروح الجريد المرحّة؟<sup>54</sup> حيث صنّف محاولته في كتابه "هل قرأنا القرآن، أم على قلوب أقفالها؟" بأنها "ملحة وليس بحثًا أكاديميا بمعنى النكتة"<sup>55</sup> وذلك لما يتضمنه هذا الكتاب من تهافت وتلفيق لا هو علمي ولا موضوعي أضاف الجديد، بل مجرد ملاحقة للأوهام، واعتناق لسراب أفكار المستشرقين الهاذين الذين يُكنّون العداة للإسلام والمسلمين.

وفي كتابه "في حمق الولدان من نقدة القرآن وأصنافهم" توجه المفكر "أبو يعرب المرزوقي" بنقدٍ للمفكرين الذين يصفون أنفسهم بالحدائين، ونَعَتَهُمْ بكونهم مجرد ولدان همهم تحصيل الاعتراف الغربي شرط الشهرة<sup>56</sup> فهم مجرد مرتزقة قلم، يبيعون الحق ليشتروا الضلالة، وهم بهذا براء من الفلسفة والقرآن بريء منهم ومن بهتانهم، إن العمل الأكاديمي العلمي لا يشترط أن تتولى جهة ما تبنيه والدفاع عليه ليصبح علميا وحقيقيا، بل "إن الحق لا يُعرف بالرجال، وإنما الرجال يُعرفون بالحق"، والأمر ذاته ينطبق لما نتحدث عن هذه المشاريع التي تظهر في الغرب ونحن نستوردها، فيؤمن بها الجاهل أما الحكيم فيُخضعها للنقد والتنقية ويأخذ منها ما هو صحيح وما يفيد، ويرد بضاعة المرتزقين إلى أهلها.

غير أن هذا لا يسقّه المشروع الفلسفي للمفكر "يوسف الصديق" برمته، بل توجد إضافات وإسهامات تُحسب له: من بينها: محاولة تصحيح الفهم حول النص القرآني للقارئ الغربي، وإثارة النقاشات حول هذا النص ومحاولة التقريب بين الحكمة والشريعة وبين العقل والنقل، وإعطاء صورة للغرب عن انفتاح المفكر العربي المسلم، والتعريف بالتراث الثقافي العربي الإسلامي للعالم ترجمة وتعليقًا.

#### الخاتمة:

بناءً على ما سبق، نصل إلى النتائج التالية نوجزها في:

- تنتمي القراءة التي قدّمها المفكر "يوسف الصديق" إلى القراءة التاريخية، ونقصد بالتاريخية ذلك المفهوم الذي ظهر في العالم الغربي، وتبينته المشاريع الفكرية العربية الإسلامية كمشروع ("محمد أركون"، "نصر حامد أبو زيد"، "حسن حنفي"... إلخ) بغية تطبيقه في استحداث فهم محيئة حول النص القرآني تستجيب لتطورات الزمن، وتواكب مستجداته.
- تعني القراءة التاريخية أيضا، قراءة النص في إطاره التاريخي، وهذه العملية تختلف بحسب المفكرين، وعند "يوسف الصديق" تقوم على: ضرورة مراجعة مدونات التفسير، وفصل النص القرآني عن سلطة الفقهاء والتموقع الحر فيه، والحفر في إيديولوجيا جمع القرآن.
- بسط المفكر "يوسف الصديق" ضمن مشروعه عدة فروق بين "المصحف والقرآن والكتاب"، واستنتج في مسار قراءته وجود كلمات وأساطير يونانية تخللت القرآن، وهنا انكشف لدينا عجز وضعف التأويل لديه، حيث لم يبرر ولم يفصّل أكثر في ذلك وكرّر ما جاء في كتب التفسير، فما هي مخرجات قوله بوجود اليونانية، وهو لم يستطع حتى إثباتها؟

- انبنت القراءة التأويلية التي قدّمها المفكر "يوسف الصديق" على عدة مبررات وهي مبررات -برأينا- ضعيفة، وهذا ما جعلنا نقف موقفا معارضا لحججه المقدّمة حول النص القرآني، غير أن هذا لا ينفي وجود أفكار إبداعية تخللت مشروعه.
  - يجب على القارئ أن يتفطن للفروق بين "التفسير، والتأويل، والقراءة" فالتفسير أعم من التأويل والقراءة جزء من التأويل، التي تستند على خبرات القارئ، وتجربته وفقا لما ذكره رواد نظريات القراءة والتلقي، وبذلك يتموضع المفكر "يوسف الصديق" بكونه قارئاً حراً، ليس مؤولاً أصيلاً (تراثيا) ولا هرمنيوطيقيا حديثا.
  - تقدّم المفكر المغربي "طه عبد الرحمن" بنقد لقراءة المفكر "يوسف الصديق"، واعتبره مفكرا متهافتا ومختلسا، والموقف ذاته نجده عند "أبي يعرب المرزوقي"، غير أن هذا لا ينفي برأينا القيمة المعرفية التي أضافها المفكر "يوسف الصديق" وتعريفه بالتراث الديني والثقافي للعالم العربي والإسلامي، ووضعه أمام عيون العالم الغربي الذي لا يزال يرانا مجرد شعوب بدائية لم نعرف الحضارة إلا من خلاله.
- وفي الأخير دعا مفكرنا إلى إعادة تشكيل العالم بالرجوع إلى مفهوم الأنسنة التي نادى بها القرآن قبل أن تضمّن معاهدات ومواثيق الدول الغربية، والمبنية على التسامح الديني، والتقبل والإعمار الحضاري.
- لتبقى محاولة المفكر "يوسف الصديق" حول قراءة القرآن محاولة تخضع للقراءة وإعادة القراءة بغية التقييم والتقويم، فكل نص هو مشرع لقراءة جديدة.

## خامساً. الهوامش:

<sup>1</sup> يوسف الصديق، الآخر والآخرين في القرآن، دار التنوير، تونس، (ط2)، 2015، ص. 128.  
<sup>2</sup> حصّة القنديل: الباحث والمفكر "يوسف الصديق"، قناة الغد،

[https://www.youtube.com/watch?v=sHgZMCynG7I&ab\\_channel=AlghadTV-%D9%82%D9%86%D8%A7%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%AF](https://www.youtube.com/watch?v=sHgZMCynG7I&ab_channel=AlghadTV-%D9%82%D9%86%D8%A7%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%AF)

AM1:00، 2016/12/18، تاريخ الإطلاع 2022/09/10،

\* أنظر الرابط التالي: [http://www.film-documentaire.fr/4DACTION/w\\_fiche\\_film/10694\\_1](http://www.film-documentaire.fr/4DACTION/w_fiche_film/10694_1)، تاريخ الإطلاع: 2022/10/11،

11:36 AM

ولقاء مع المفكر يوسف الصديق بعنوان: القرآن ميلاد كتاب، متاح على الرابط التالي:

[https://www.youtube.com/watch?v=IVn0dhZ1eQI&ab\\_channel=BouillondeCulture](https://www.youtube.com/watch?v=IVn0dhZ1eQI&ab_channel=BouillondeCulture) 2022/10/11، تاريخ الإطلاع: 11:44 AM

\*\* لقد حسم الفيلسوف الفرنسي "جيل دولوز" ماهية الفلسفة في كونها، "إبداع المفاهيم، فلم تعد الفلسفة معرفة المبادئ الأولى، ذلك التعريف الإغريقي الأرسطي، الذي لم تزحزحه أعتى ثورات العقل وانعطافات الكبرى. أنظر: جيل دولوز، فيليكس غتاري، ما هي الفلسفة، مركز الإنماء القومي، لبنان، (ط1)، 1997، ص. 5.

\*\* الإيتيمولوجي: الإيتيمولوجيا: هو العلم الذي يبحث في أصل الكلمات، بالرجوع إلى الحالة التي كانت عليها في السابق، من خلال البحث عن القوانين الصوتية والدلالية.

Etymologie : n . f : science de la filiation des mots, reconstitution de l'ascendance du mot en remontant de l'état actuel à l'état de plus anciennement accessible. L'étymologie est fondée sur les lois phonétiques et Sémantiques, Etymologie, c'est etumos logos, le sens authentique. Origine ou filiation d'un mot, racine, source, évolution. Voir :Jamel Ali khodja, Vocabulaire commente de français, Dar El-Houda, Algérie, 2004, P.117

\* قسّم "يوسف الصديق" القول إلى نوعين نوع أول وهو قول وما يتبعه صفة كقوله تعالى في سورة النساء ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنْ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾، الآية [108]، صفة ما لا يرضى من القول: حين يكذبون في القول،

وقوله تعالى في سورة النساء ﴿لَا يُجِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [148]، والسوء من القول حسب تفسير الطبري أن من ظلم فلا حرج عليه أن يخبر بما أسيء به. أنظر: الطبري، تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، لبنان، (ط1)، 1991، مج2، ص551-594

أما النوع الثاني من القول فهو القول الذي يراد به أمر الله وإرادته فمثلا في قوله تعالى من سورة الإسراء [الآية 17] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ ونجد الرأي نفسه لدى تفسير الطبري: فحق عليهم القول: الأغلب من معنى: أمرنا الأمر، ففسقوا فيها فخالفوا أمر الله فيها وخرجوا عن طاعته فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها وعيد الله الذي أوعد من كفر. أنظر الطبري: المرجع السابق، مج5، ص17.

<sup>3</sup> يوسف الصديق، لزوميات المقال، قصيدة بارمينيدس إلى ينابيع الفلسفة، دار الجنوب للنشر، تونس، ط1، 1994، ص35.

<sup>4</sup> يوسف الصديق، قصيدة بارمينيدس، ص36.

<sup>5</sup> محمد عمارة، في فقه الحضارة الإسلامية، مكتبة الشروق، مصر، (ط2)، 2007، ص5.

<sup>6</sup> يوسف الصديق، الآخر والآخرين في القرآن، ص21.

<sup>7</sup> المصدر نفسه، ص23.

\* الحلولية: الحلولية أو مذهب وحدة الوجود هو الإقرار بأن الله والعالم شيء واحد لا غير، ويمكن أن يفهم ذلك بمعنيين، 1. الله هو الواقع الوحيد الذي توجد فيه الأشياء جميعا، وليس العالم شيئا آخر غير تجلياته وأحواله اللاجوهية (رأي سبينوزا)، 2. العالم هو الواقع الوحيد، وليس الله غير مجموع الوجود (وهو مذهب ديدرو ودلباك الذي ينعت بالحلولية المادية أو الحلولية الطبيعية). جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص175.

<sup>8</sup> يوسف الصديق، الآخر والآخرين في القرآن، ص24.

<sup>9</sup> المصدر نفسه، ص105.

<sup>10</sup> محمد الطالبي، عيال الله، أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين، دار سراس

للنشر والتوزيع، تونس، (د.ط.)، (د.ت)، ص64.

<sup>11</sup> يوسف الصديق، الآخر والآخرين في القرآن، ص15، 16، 17.

\* يُفسّر المفكر يوسف الصديق ذلك انطلاقا من قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾، فالله خلق القرآن ثم الإنسان.

<sup>12</sup>المصدر نفسه، ص.17

<sup>13</sup> محمد أركون، قراءات في القرآن، تر: هاشم صالح، دار الساقى، لبنان، (ط1)، 2017،

ص.15

<sup>14</sup> المرجع نفسه، ص.18-20

<sup>15</sup> محمد شحرور، الكتاب والقرآن، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، (ط1)،

1990، ص.58، 57، 91

<sup>16</sup> يوسف الصديق، هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها؟، تر: منذر ساسي، دار محمد

علي، تونس، (ط2)، 2015، ص.103، 100

<sup>17</sup>المصدر نفسه، ص.109

<sup>18</sup> يوسف الصديق، هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها؟، ص.18

<sup>19</sup> رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب،

(ط)، 1993، ص.82، 84

\* نظريات القراءة: يجب التمييز بين القول بنظريات القراءة والتلقي وبين التأويل، فهذه النظريات ظهرت في مرحلة ما بعد الحداثة أين بدأ الاهتمام "بعلاقة القارئ بالنص، حيث بات مشكلة تُثير القلق، وتستدعي الحوار والجدل بين رواد المذاهب النقدية الحديثة، وقد توزع الفكر النقدي تبعا لهذه المشكلة في اتجاهين: اتجاه يمثله النقد الماركسي والرمزية الفرنسية (يكاد يُلغى دور القارئ)، وآخر يمثله الوجودية والبنوية (وفيه تبدو ذاتية القارئ متفوقة)" أنظر: محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1996، ص.7

إذا هذه النظريات شكلتها عدة مناهج مثل الفينومينولوجيا، والشكلانية، والبنوية، والسيميوطيقا، وبالتالي تختلف عن التأويل في كونها جزءا منه، وتأتي بعده، وتوظف مناهج عدة، وتركز اهتمامها على خبرة القارئ.

<sup>20</sup> يوسف الصديق، هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها؟، ص.25

<sup>21</sup> سورة العلق، الآية 1



<sup>22</sup> Lire le Coran comme si ce verbe lire conjugué à l'impératif, ce « lis! » par lequel a éclaté, un jour de l'an 610, une révélation faite au quadragénaire mecquois nommé Muhammad. Voir : Youssef Seddik, Nous n'avons jamais lu le coran, ed L'aube, France, 2013, P.11

<sup>23</sup> جلال الدين سعيد، المرجع السابق، ص.84

<sup>24</sup> The collapse of historicism was not merely the demise of an academic tradition but signified a shift in the understanding of hermeneutics and metaphysics. See : Charles R. Bambach, Heidegger Dilthey And The Crisis of Historicism, Cornell University Press, Ithaca and London, 1st published, 1995, P.316

\* ما بعد الحداثة: بالنسبة إلى توينبي كان مصطلح ما بعد الحداثة يعين حلقة تاريخية جديدة في الحضارة الغربية تبدأ من عام 1785، وفي عام 1959-1960 كتب كل من ارفينغ هاو وهاري ليفين عن ما بعد الحداثة بوصفها سقوطاً من علياء الحركة الحداثية الكبرى. أنظر: محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي، ما بعد الحداثة، فلسفتها، دار توبقال للنشر، المغرب، (ط1)، 2007، ص.9

<sup>25</sup> عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، مؤسسة هندراوي، مصر، (ط1)، 2018، ص.66

\* أكد "دلثاي" أن صلاحية أي تأويل للثقافة متجذر في الخبرات الذاتية. Dilthey admits that the validity of any interpretation of culture is rooted in subjective experience. See : Rudolf A.Makkreel, Dilthey Philosopher of the human studies, Princeton University Press, New Jersey, 1975, P.248

<sup>26</sup> المرجع نفسه، ص.70

<sup>27</sup> محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، لبنان، (ط2)، 2005، ص.10

<sup>28</sup> يوسف الصديق، الآخر والآخرين في القرآن، ص.84

<sup>29</sup> سورة النحل، الآية. 90

<sup>30</sup> حسن حنفي، من النقل إلى العقل، علوم القرآن، (من المحمول إلى الحامل)، الهيئة

المصرية للكتاب، مصر، (ط1)، مج1، 2014، ص.7

<sup>31</sup> المرجع نفسه، ص.54

<sup>32</sup> المرجع نفسه، ص.124

<sup>33</sup> سورة البقرة، الآية. 106

<sup>34</sup> نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، مصر، (ط2)، 2000، ص.99

<sup>35</sup> المرجع نفسه، ص.118

<sup>36</sup> يوسف الصديق، الآخر والأخرون في القرآن، ص.59

<sup>37</sup> يوسف الصديق، الآخر والأخرون في القرآن، ص.59

<sup>38</sup> يوسف الصديق، الآخر والأخرون في القرآن، ص.76

<sup>39</sup> يوسف الصديق، الآخر والأخرون في القرآن، ص.33

\* التراكم: من بين خصائص العلم التراكمية فالعلم معرفة تراكمية، ولفظ تراكمية يصف الطريقة التي يتطور بها العلم والتي يعلو بها صرحه. أنظر: فؤاد زكريا، التفكير العلمي، مؤسسة هنداوي، مصر، 2017، ص.15

<sup>40</sup> غاستون باشلار، تكوين العقل العلمي، مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، (ط2)، 1982، ص.17

\* إن بنية الخطاب الديني تتمتع بخصوصية لما تفرضه السلطة عليها من اعتبارات، ونتيجة لذلك فإن منطق الخطاب الديني يختلف عن منطق العلوم، فإذا كان الخطاب العلمي يتم بناؤه بشكل مستقل، فإن الخطاب الديني يرتبط بشكل وثيق بالخطاب الجمالي، كما نجد فئة من الجمل تتعلق بالإيمان وهي مواضيع ما وراء لغوية. أنظر: Religious Discourse take a particular form. The structure of the Religious Discourse is different from the discourse of science insofar as authority does play a considerable role in it, and there is a difference between the logic of religion and logic of science, and discourse of science developed autonomously, but we find in religious discourse as a class of object-linguistic sentences (faith, symbolically), and this elements of objective faith It is a Meta-linguistics. See : Ronald E. Santoni, Religious Language And The Problem Of Religious Knowledge, Indiana University Press, London, 1968, P.120,121

<sup>41</sup> يوسف الصديق، قصيدة بارمنيدس، ص.125

<sup>42</sup> سورة الإخلاص.

<sup>43</sup> يوسف الصديق، هل قرأنا القرآن؟ أم على قلوب أفعالها، ص.138-244

<sup>44</sup> يوسف الصديق، هل قرأنا القرآن؟ أم على قلوب أفعالها، ص.219

<sup>45</sup> الطبري، المرجع السابق، ج3، ص.331

\* يورد المفكر يوسف الصديق في كتابه "هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها؟، أن قصة أوديب وقصة يوسف عليه السلام تتشابهان بأحداثهما تماما، كما أن قصة موسى وفتاه عندما أرادا أكل السمك، وعودة السمك إلى الحياة تشبه قصة حدثت مع جندي الإسكندر. أنظر: يوسف الصديق، هل قرأنا القرآن، أم على قلوب أقفالها، ص. 195، 231

<sup>46</sup> يوسف الصديق، الآخر والآخرين في القرآن، ص. 99

<sup>47</sup> L'islam pré-occupe aujourd'hui le monde comme jamais sans doute un message religieux ne l'a fait. Qu'il reconnaisse pleinement et au fondement même de son ((système)) les deux autres religions comme autant de moments dans la marche de l'Un vers son proper accomplissement, qu'il en ait repris l'essentiel des principes, des traits et parcours des personnages des lieux et des symboles, N'est pas dans l'islam en effet celui-la qui parmi les musulmans rejette l'enseignement de Moïse et de Torah, celui-la qui ne reconnaît Jésus comme le ((verbe procédant de dieu)) et le refus du dogme de la Trinité et de l'incarnation. Voir : Youssef Seddik, L'arrivant du soir, Med Ali Edition, Tunisie, 1<sup>er</sup> ed, 2014, P.20

<sup>48</sup> عمر بن عبد العزيز قريشي، سماحة الإسلام، مكتبة الأديب للنشر والترجمة،

السعودية، (ط3)، 2006، ص. 12.

<sup>49</sup> Les tambours de guerre que continuaient à battre les pontifes et les clercs contre les hommes et les terres d'islam, un autre type de guerrier penseur a vu le jour, incontestablement incarné par la figure emblématique et fascinante de Raymond Lulle (1233-1316) un homme seul n'a été aussi conséquent, et dans l'exposition de ses propres convictions religieuses, et dans l'acquisition des armes intellectuelles qui lui permettraient de combattre celles de l'autre, partout en Europe et en terre d'islam-à Damas, Jérusalem ou Tunis, Béjaïa et Fès il avait mené sa propre croisade. Voir : Youssef Seddik, Le grand malentendu, l'occident face au coran, éditions de l'aube, imprimé en Europe, 2010, P.64,65

<sup>50</sup> محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيد، تر: هاشم

صالح، دار الساقى، لبنان، (ط1)، 1997، ص. 47، 48.

<sup>51</sup> المرجع نفسه، ص. 28.

<sup>52</sup> طه عبد الرحمن، سؤال العمل، بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، المركز

الثقافي العربي، المغرب، (ط1)، 2012، ص.196

<sup>53</sup> سورة الشعراء، الآية 195

<sup>54</sup> أبو يعرب المرزوقي، يوسف الصديق هل "يفكر" أم "ينكت" بروح الجريد المرححة؟،

متاح على الرابط:

<https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com/2019/07/11/%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81->

[/D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AF%D9%8A%D9%82%D8%8C-](https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com/2019/07/11/%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AF%D9%8A%D9%82%D8%8C-)

[/D9%87%D9%84-%D9%8A%D9%81%D9%83%D8%B1%D8%9F-](https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com/2019/07/11/%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AF%D9%8A%D9%82%D8%8C-)

[/D8%A3%D9%85-%D9%8A%D9%86%D9%83%D8%AA-](https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com/2019/07/11/%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AF%D9%8A%D9%82%D8%8C-)

[/D8%A8%D8%B1%D9%88%D8%AD-%D8%A7%D9%84](https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com/2019/07/11/%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AF%D9%8A%D9%82%D8%8C-) تونس،

11.7.2019، تاريخ الإطلاع: 2023/9/19 على AM 12:49

<sup>55</sup> المرجع نفسه، ص.1

<sup>56</sup> أبو يعرب المرزوقي، في حمق الولدان من نقدة القرآن وأصنافهم، (د.د)، تونس، (د.ط)،

2023، ص.12

سادسًا. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، دار الفجر الإسلامي، سورية، (ط10)، 2018

1. الكتب:

1. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر،

تونس، 2004

2. جيل دولوز، فيليكس غتاري، ما هي الفلسفة، مركز الإنماء القومي، لبنان، (ط1)،

1997

3. حسن حنفي، من النقل إلى العقل، علوم القرآن، (من المحمول إلى الحامل)، الهيئة

المصرية للكتاب، مصر، (ط1)، مج1، 2014

4. رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال،

المغرب، (ط)، 1993

5. الطبري، تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، لبنان، (ط1)، 1991، مج2

6. طه عبد الرحمن، سؤال العمل، بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي، المغرب، (ط1)، 2012
7. عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، مؤسسة هنداي، مصر، (ط1)، 2018،
8. عمر بن عبد العزيز قريشي، سماحة الإسلام، مكتبة الأديب للنشر والترجمة، السعودية، (ط3)، 2006
9. غاستون باشلار، تكوين العقل العلمي، مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، (ط2)، 1982
10. فؤاد زكريا، التفكير العلمي، مؤسسة هنداي، مصر، 2017
11. محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيد، تر: هاشم صالح، دار الساقى، لبنان، (ط1)، 1997
12. محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، لبنان، (ط2)، 2005
13. محمد أركون، قراءات في القرآن، تر: هاشم صالح، دار الساقى، لبنان، (ط1)، 2017
14. محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي، ما بعد الحداثة، فلسفتها، دار توبقال للنشر، المغرب، (ط1)، 2007
15. محمد شحرور، الكتاب والقرآن، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، (ط1)، 1990
16. محمد الطالبي، عيال الله، أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالأخرين، دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، (د.ط.)، (د.ت)
17. محمد عمارة، في فقه الحضارة الإسلامية، مكتبة الشروق، مصر، (ط2)، 2007
18. محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1996
19. نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، مصر، (ط2)، 2000

- 
20. أبو يعرب المرزوقي، في حمق الولدان من نقدة القرآن وأصنافهم، (د.د)، تونس، (د.ط)، 2023،
21. يوسف الصديق، لزوميات المقال، قصيدة بارمينيدس إلى يناييع الفلسفة، دار الجنوب للنشر، تونس، (ط1)، 1994
22. يوسف الصديق، الآخر والآخرين في القرآن، دار التنوير، تونس، (ط2)، 2015
23. يوسف الصديق، هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها؟، تر: منذر ساسي، دار محمد علي، تونس، (ط2)، 2015
24. Charles R. Bambach, Heidegger Dilthey And The Crisis of Historicism, Cornell University Press, Ithaca and London, 1st published, 1995
25. Jamel Ali khodja, Vocabulaire commente de français, Dar El-Houda, Algérie, 2004
26. Ronald E. Santoni, Religious Language And The Problem Of Religious Knowledge, Indiana University Press, London, 1968
27. Rudolf A. Makkreel, Dilthey Philosopher of the human studies, Princeton University Press, New Jersey, 1975
28. Youssef Seddik, Le grand malentendu, l'occident face au coran, éditions de l'aube, imprimé en Europe, 2010
29. Youssef Seddik, Nous n'avons jamais lu le coran, ed L'aube, France, 2013
30. Youssef Seddik, L'arrivant du soir, Med Ali Edition, Tunisie, 1<sup>er</sup> ed, 2014,

## 2. مواقع الانترنت:

1. أبو يعرب المرزوقي، يوسف الصديق هل "يفكر" أم "ينكت" بروح الجريد المرحة؟، متاح على الرابط:

<https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com/2019/07/11/%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AF%D9%8A%D9%82%D8%8C-%D9%87%D9%84-%D9%8A%D9%81%D9%83%D8%B1%D8%9F-%D8%A3%D9%85-%D9%8A%D9%86%D9%83%D8%AA-%D8%A8%D8%B1%D9%88%D8%AD-%D8%A7%D9%84>

11.7.2019

2. حصة القنديل:،

[https://www.youtube.com/watch?v=sHgZMCynG7I&ab\\_channel=AlghadTV-](https://www.youtube.com/watch?v=sHgZMCynG7I&ab_channel=AlghadTV-)

3. الححص التلفزيونية ليوسف الصديق: [http://www.film-documentaire.fr/4DACTION/w\\_fiche\\_film/10694\\_1](http://www.film-documentaire.fr/4DACTION/w_fiche_film/10694_1)

لقاء مع المفكر يوسف الصديق:

[https://www.youtube.com/watch?v=lVn0dhZ1eQI&ab\\_channel=BouillondeCultur](https://www.youtube.com/watch?v=lVn0dhZ1eQI&ab_channel=BouillondeCultur)